آيات الخيرية في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

أ.م.د. عمار محمد صالح

الحمد لله المنان ، خلق الانسان علمه البيان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد العدنان، خير من تلا وعلم القرآن ، وعلى آله وصحبه أولي الفهم والعرفان ، ومن سار على نهجهم الى يوم لقاء الديان .وبعد : فإن القرآن الكريم دستور هذه الامة في ماضيها ومستقبلها ، وهو الذي لا تنضب معانيه ، ولا تنقطع بلاغة مبانيه ، وهو الذي رسم للبشرية طريق سعادتها ودرب فلاحها ، وأسلوب حياتها ، واقامها على خيرية مستمرة ومنهج مستقيم .وقد نظرت في آيات الخيرية فوجدت كلمة (خير) وقد بلغت (١١٦) مرة ، منها ما كان مضافا الى الناس (٢٦) مرة ، سواء كان بلفظ (خير لكم) او (خيرا لهم) فرأيت الاقتصار على المضاف منها ، وتقسيمها بعد دراستها موضوعيا إلى مباحث تنتظمها بمطالب مناسبة شاملة لدراسة المعنى الاجمالي ، والمناسبة ، وسبب النزول – ان وجد– ثم الدروس المستفادة ، ولما استوى البحث على سوقه سميته (الاقتباس في معاني آيات الخيرية المضافة إلى الناس) ، وجاء البحث في مباحث ثلاثة انتظمت : المجال الإيماني ، والعبادات والعلاقات الاجتماعية ، ويندرج تحت كل مبحث مطالب ثلاثة ، ثم خاتمة بأهم النتائج ، مطرزا البحث بقائمة المصادر التي افدت منها . وختاما أسأل الله سداد القول والعمل ، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول في المجال الإيماني

المطلب الأول : التوحيد

أتناول هنا الآيات التي ورد فيها ذكر الخيرية في مجال التوحيد والايمان ، وهي كما يأتي : قوله تعالى:﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ العنكبوت:١-٢

المعنى الاجمالي : يبين الله تعالى لسيدنا محمد : (واذكر ابراهيم حيل قال لقومه : اعبدوا الله وحده واتقوه فلا تشركوا به أحدا ذلكم الذي أمركم به وادعوكم إليه من العبادة والتوحيد ، وما يتبع ذلك من عمل الطاعات خير لكم من كل خير ، ومما انتم عليه من الوثنية التي لا خير فيها ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون احدهما من الاخر ، او كنتم من اهل العلم بوجه من الوجوه تبين لكم ان الخير كله في عبادة الله وحده لا شيريك له) [1] وهي دعوة صريحة للإيمان وتوحيد الله تعالى ، وان في ذلك الخير كله ، فجماع الخير كله ، فجماع الخير في توحيد الله وعبادته وتقواه ، وهي العاصمة من منزلقات الشرك والوثنية الآسنة التي فيها انخلاع الانسان من انسانيته وكرامته التي رسمها الله له بالتوحيد الخالص والعبودية الحقة .

المناسبة: أوضح ابن عطية إن في الآية تسلية للنبي (عليه الصلاة والسلام) عما وجده واصحابه من عنت قومهم ، وفيها وعيد شديد لما اصاب قوم نوح من ذكر دعوته والطوفان الذي اهلكهم الا قليلا ، وذلك في الآيات قبلها[2]

الدروس المستفادة : في الآية وما تلاها توضيح للدرس والعبرة من توحيد الله وعبادته وكما يأتي :

- عباده الله وحده لا شريك له والاخلاص له في التقوى هي العواصم لنا من كل ازمة .
- طلب الرزق منه وحده لا شريك له ، فإليه وحده تطلب الحوائج .
- توحيد الله في الشكر ، فإنه المشكور على النعم لا مسدي له غيرها .
- ان الاصنام التي يعبدها الناس لا تضر ولا تنفع ، وانما اختلق لها البشر اسماء فسموها آلهة ، وانما هي مخلوقة مثلكم .
- ان عبادة الله وتقواه خير لكم ان كنتم تعلمون ، أي اذا فعلتم ذلك حصل لكم الخير في الدنيا والاخرة ، واندفع عنكم الشر في الدنيا والآخرة قال القنوجي : (ذلكم : أي عبادة الله وتقواه ، خير لكم : من الشرك ولا خير في الشرك ابدا ، ولكنه خاطبهم باعتبار اعتقادهم ، وقيل : خير من كل شيء؛ لان حذف المفضل عليه يقتضي العموم مع عدم احتياجه الى تأويل ، اذ المراد بكل شيء كل شيء فيه خيرية)[3] قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ الصف: ١٠ - ١١

سبب النزول : أوضح الطبري ذلك بقوله : (ناس من المؤمنين قبل ان يفترض الجهاد يقولون : لوددنا ان الله دلنا على احب الاعمال اليه ايمان بالله لاشك فيه ، وجهاد اهل معصيته الذين خالفوا الايمان ولم يقرو به ...) تفسير طبري شاملة تح شاكر ٣٥٤/٢٣ قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾ ﴾ النساء: ١٧٠

المعنى الاجمالي : بين الطبري إن الآية خطاب لمشركي العرب وسائر اصناف الكفر انه قد جاءكم الرسول يعني محمدا عليه الصلاة والسلام بالحق من عند ربكم من الدين ، فإن جحودكم وتكذيبكم لن يضر غيركم ، وانما ذلك عائد عليكم ؛ وذلك إن لله ما في السموات والأرض ملكا وخلقا ، لا ينقص بكفركم من امره ولا عصيانكم اياه من ملكه وسلطانه شيئا (٤) وفي الآية تصريح بأن الحق بالتوحيد والايمان الذي جاء رسول الله عليه الصلاة والسلام كما تزكية للنبي عليه الصلاة والسلام المبلغ عن الله تعالى حقيقة الدين اذ هو المؤتمن على هذا البلاغ المبين .

المناسبة :قال الرازي : (اعلم انه تعالى لما اجاب عن شبهة اليهود على الوجوه الكثيرة ، وبين فساد طريقتهم ذكر خطابا عاما يعمهم ويعم غيرهم في الدعوة الى دين محمد عليه الصلاة والسلام) تفسير الرازي شاملة ٢٧٠/١١ .

الدروس المستفادة : ألمحت الآية الكريمة إلى دروس وافادات وكما يأتي :

– ان الايمان معقد الخير كله ، قال الراغب : (وتقديره : امنوا وائتوا خيرا لكم ، فدل بلفظ الايمان على إتيان الخير قال الكسائي : تقديره يمكن الايمان خيرا لكم) تفسير الراغب الاصفهاني ٢٣٦/٤ شاملة

– وصف ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام بالحق ، وفي هذا وجهان : الاول : انه جاء بالقران ، والقرآن معجز فيلزم انه جاء بالحق من ربه . والثانية انه جاء بالدعوة الى عبادة الله والاعراض عن غيره ، والعقل يدل على ان هذا هو الحق ، فيلزم انه جاء بالحق من ربه . تفسير الرازي الشاملة ٢٧٠/١١ . تقرير وتأكيد للحق وهو القرآن ، وللرسول عليه الصلاة والسلام المشهود برسالته قال أبو السعود عن الآية (تقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الأمر بالإيمان وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة لتأكيد وجوب طاعته والمراد بالحق هو القرآن الكريم) تفسير ابو السعود شاملة ٢٥٨/٢ .

– ان الله عز وجل غني عن عبادة خلقه ، دل على ذلك قوله : ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑦ ﴾ الزمر : ٧ .

قال الرازي : (وان تكفروا فإن الله غني عن إيمانكم ؛ لأنه مالك السموات والأرض وخالقهما ، ومن كان كذلك لم يكن محتاجا الى شيء .... وله عبيد يعبدونه وينقادون لأمره وحكمه) تفسير الرازي الشاملة ٢٧٠/١١ .

قال تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾النحل: ٩١ المعنى الإجمالي : المراد من عهد الله بيعة رسوله عليه الصلاة والسلام على الإيمان أو هو الآيات الداعية إلى إيجاب المحافظة على العهود والايمان .والمعنى لا تستبدلوا به ولا تعتاضوا عنه ثمنا قليلا مقابل عهده سبحانه من عرض الدنيا وزينتها ، فإن هذا العرض مهما كثر في موازينكم فإنه يكون ضئيلا بالنسبة الى عطاء الله ، او هو عرض يسير في واقعه وحقيقته فلا يحل لاحد ان يتناوله ، ويتخلى عن عهد الله الذي يجب الوفاء به ، ويستحق الوفي به عند الله أجراَ عظيما، أما عرض الحياة الدنيا فهو قليل وزائل كما قال تعالى : (قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى) ، ويشار بالثمن القليل الى ما كانت تعد به قريش ضعفاء المسلمين للارتداد عن الاسلام . تفسير الوسيط ، مجمع البحوث ٦٧٥/٥ .

الدروس المستفادة :

– الدعوة العامة للمجتمع ؛ الا تنقضوا عهودكم التي عاقدتموها مع من عاقدتم ، تطلبون بذلك عرضا من الدنيا ولكن اوفوا بعهد الله الذي امركم بالوفاء به يثبتكم الله على ذلك ، فإن ما عند الله من ثواب على الوفاء ما هو خير لكم ان كنتم تعلمون فضل ما بين العوضين اللذين احدهما الثمن القليل الذي تشترون بنقض عهد الله في الدنيا ، والاخر ثواب الجزيل في الاخرة على الوفاء به ، فما عند الله لمن اوفى بعهده واطاعة من الخيرات باق غير فان . الطبري هجر ٣٤٩/١٤ .

– ان المنافع الزائلة والمصالح العابره لا ينبغي ان تغري المؤمنين بنقض عهودهم ومواثيقهم ؛ لان منافع الوفاء المتبادل ، والقثة المتبادلة ، ادوم وابقى .

– ممارسة الخير والعمل الصالح ، اذ هو العمل المشروع الملائم للتوجيهات الإلهية، والمحقق لمقاصد الشريعة واهدافها ، وبه السعادة والحياة الطيبة . التيسير في احاديث التفسير ٣٥٥/٣ .

المطلب الثاني : الغلو والتطرف

قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾﴾ النساء: ١٧١

سبب النزول : قال مقاتل : نزلت في نصارى نجران : السيد والعاقب ومن معهما ، والجمهور على إن المراد بهذه الآية النصارى ، وقال الحسن : نزلت في اليهود والنصارى . زاد المسير ٥٠١/١ .

المناسبة : (اعلم انه تعالى لما اجاب عن شبهات اليهود تكلم بعد ذلك مع النصارى في هذه الآية والتقدير : يا اهل الكتاب من النصارى لا تغلو في دينكم أي لا تفرطوا في تعظيم المسيح ، وذلك لأنه تعالى حكى عن اليهود انهم يبالغون في الطعن في المسيح ، وهؤلاء النصارى يبالغون في تعظيمه ولا طرفي قصدهم ذميم) تفسير الرازي ٢٧١/١١

المعنى الاجمالي : الغلو : (تجاوز الحد من قولهم غلا السهم وغلا السعر ويستعمل في الافراط دون التفريط والخطاب قيل هو للنصارى حيث تجاوز القصد في عيسى عليه السلام فادعوا له الربوبية . وقيل: هو خطاب لهم ولليهود ، فاللنصارى غلوا في رفعه واليهود في وضعه) تفسير الراغب ٤١٤/٥ . وقد بين الله – فيما سبق – انحراف كل من اليهود والنصارى عن دينهم القويم ، ثم دعاهم الى التوبة والاستغفار ، ونبذ ما انحرفوا اليه من الشرك ، ودعاهم الى اتباع شريعة الاسلان التي جاءت البشارة بما في كتبهم ، وعلى السنة انبيائهم ... ثم بين لهم هنا ، سبب الانحراف ، وهو الخروج عن حد القصد ، والمبالغة في تقديس بعض انبيائهم ، مبالغة اخرجتهم عن نطاق البشر ، ورفعتهم الى الالوهية وامر الله رسوله ان يقول لهم : يأهل الكتاب لا ينبغي لكم أن تبالغوا في عقيدتكم ، مبالغة تجاوز الحد ، وتخرج عن القصد تاركين الحق ، ومخالفين الصواب وبهذا تخرجون عن نظام التوحيد الى الايغال في الشرك والضلال . التفسير الوسيط ٩٨٧/٢ ، ١١٣٢ – ١١٣٣ .

الدروس المستفادة :

– وصف الحقيقة الصادقة عن المسيح وامه مريم دون زيادة ولا نقص ، ولا غلو ولا تحريف ، ولا تأليه ولا تثليث ، وفيه توضيح لبشرية عيسى وامه وتوابع هذه البشرية بتعبير قرآني مهذب ، فمن كان يتناول الطعام لدفع الم الجوع ، فسوف يظطر بحكم تناوله الطعام الى العمل على التخلص من فضلاته ، واذن فهو يحتاج الى تناول الطعام اولا والتخلص من فضلاته ثانيا ، ومن كان حاله هو هذا الحال ، لا يمكن ان يكون الها ولو في الخيال . التيسير في احاديث التفسير ٧٧/٢ – ٧٨ .

– النهي عن التحريف حماية لجانب التوحيد وحفظ حق الالوهية ، (فإن قيلكم في عيسى انه ابن الله قول منكم على الله غير الحق لان الله لن يتخذ ولدا فيكون عيسى او غيره من خلقه له ابننا ... ولكن قولو هو عبد الله وكلمته القاها الى مريم روح منه ... ولا تتبعوا ايضا في المسيح اهواء الذين قد ضلوا قبلكم عن سبيل الهدى في القول فيه ، فتقولون فيه كما قالو : هو لغير رشده وتبهتوا امه كما يبهتونها بالفرية وهي صديقة) الطبري هجر ٧٠٠/٧ وما بعدها

– تشريف عيسى عليه السلام ، اذ المغنى انه وجد بكلمة الله وامره من غير واسطة ولا نطفة ، وروح منه : فيه وجوه : الاول : انه جرت عادة الناس انهم اذا وصفوا شيئا بغاية الطهارة والنظافة قالوا : انه روح ، والمراد من ذلك التشريف والتفضيل. الرازي ٢٧١/١١ .

قال تعالى ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ المائدة: ١٣

سبب النزول : نزلت في يهود خيبر كانوا يحرفون الكلام من بعد ان وضعه الله مواضعه ، يعني: آية الرجم ، فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما ، فبعثوا الزانين إلى بني قريضة ليسألوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن قضائه في الزانين اذا احصنا ، ما حدهما قالو : ان افتاكم بالجلد فخذوه واجلدوا الزانيين ، وابن افتاكم بالرجم فلا تعملوا به . التفسير الوسيط للواحدي ١٨٧/٢. شاملة .

المعنى الإجمالي : هذا بيان لنوع من انواع ضلال اهل الكتاب : الذين اشتروا الضلالة فإنهم يتأولون الكلام على غير تأويله ، ويفسرونه بغير مراد الله تعالى كذبا منهم وافتراء وتضليلا للمسلمين انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم (سمعنا وعصينا) : أي سمعنا قولك ولا نطيعك فيه ، عنادا وتحقيقا للمخالفة ، وذلك ابلغ في عنادهم وكفرهم ويقولون ايضا مخاطبين له : (واسمع غير مسمع) وهذا كلام يتحمل وجهين : الشر والخير ، وذلك بحملة على معنى : اسمع لا سمعت (ويكون دعاء عليه بالصمم او الموت ، او هو على معنى : اسمع لا



سمعت مكروها وهذا – وان كان ظاهرة الدعاء له – الا انه في حقيقة باطنهم استهزاء منهم واستهتار برسول الله صلى الله عليه وسلم) كذلك كانوا يقولون : (راعنا) وهي كلمة ذات وجهين تحتمل الخير على معنى : انظرنا وتمهل علينا نكلمك وتحتمل الشر على معنى : انها رمي الله بالرعونة والحمق ، فكانوا يظهرون التوقير والاحترام ، ويضمرون الاهانة والاستهزاء (ليا بألسنتهم وطعنا في الدين) أي صرفا للكلام عن ظاهره الى ارادة الشتم والسب وقدحا في الدين بالاستهزاء والسخرية . (ولو انهم قالو سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم) هذا بيان لما كان ينبغي عليهم ان يقولوه ، ولو انهم – عندما سمعوا شيئا من اوامر الله ونواهيه قالوا مخلصين : سمعنا واطعنا بدل قولهم سمعنا وعصينا وقالوا ايضا : اسمع وانظرنا ، بدلا من قولهم : اسمع غير مسمع وراعنا لكان خير لهم مما قالوه ، واعدل واصوب : (ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) أي ولكنهم لم يقولوا ذلك واستمروا على الكفر والضلال فأبعدهم الله _ سبب كفرهم _ عن الهدى فهم لا يصدقون الا تصديقا قليلا لا ينتفع به الا عدد قليل منهم مثل من امن من احبارهم . تفسير الوسيط ٨٢٢/٢ .

المطلب الثالث : من حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم

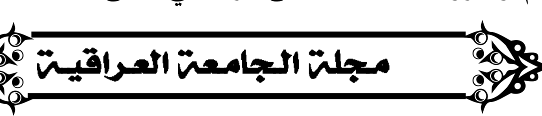
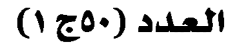
قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ المجادلة: ١٢

سبب النزول : قال ابن عباس نزلت بسبب ان المسلمين كانوا يكثرون المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه ، فأراد الله عز وجل ان يخفف عن نبيه صلى الله عليه وسلم فلما قال ذلك كف كثير من الناس ثم وسع الله عليهم بالآية التي بعدها وقال الحسن : نزلت بسبب ان قوما من المسلمين كانوا يستحلون النبي صلى الله عليه وسلم ويناجونه فظن بهم قوم من المسلمين انهم ينتقصون في النجوى فشق عليهم ذلك فأمرهم الله تعالى بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن استحلائه وقال زيد بن اسلم نزلت بسبب ان المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون : انه اذن يسمع كل ما قيل له ، وكان لا يمنع احدا مناجاته فكان ذلك يشق على المسلمين لان الشيطان كان يلقي في انفسهم انهم ناجوه بأن جموعا اجتمعت لقتاله قال : فأنزل تبارك وتعالى (يا ايها اللذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) الآية ، فلم ينتهوا فأنزل الله هذه الآية ، فأنتهى أهل الباطل عن النجوى لانهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة ، وشق ذلك على اهل الايمان وامتنعوا من النجوى ، لضعف مقدرة كثير منهم عن الصدقة فخفف الله عنهم بعد الآية الثانية – القرطبي١٧ /٣٠١ شاملة . وقال ابن ابي نجيح ، عن مجاهد قال : نهوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتصدقوا ، فلم يناجه الا علي بن ابي طالب قدم دينارا صدقة تصدق به ، ثم ناجى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن عشر خصال ، ثم انزلت الرخصة . وقال ليث بن ابي سليم ، عن مجاهد ، قال علي (رضي الله عنه) : اية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها احد قبلي ، ولا يعمل بها احد بعدي ، كان عندي دينار فصرفته بعشر دراهم ، فكنت اذا ناجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقت بدرهم ، ولم يعمل بها احد قبلي ، ولا يعمل احد بها بعدي ، ثم تلا هذه الاية (يا ايها اللذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) الاية . وروى ابن جرير بإسناده الى علي (بن ابي طالب) قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم "ما ترى ، دينار" قال : لا يطيقون . قال : "نصف دينار؟" . قال : لا يطيقون قال : "ما ترى؟" قال شعيرة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : "انك زهيد قال : قال علي : فبي خفف الله عن هذه الامة وقوله : (يا ايها اللذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) فنزلت: (أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) ابن كثير ٥٠/٨ تح سلامة شاملة .

المعنى الإجمالي : (اذا ناجيتم الرسول) : أي اردتم مناجاته . (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة): أي قبل المناجاة تصدقوا بصدقة ثم ناجوه صلى الله عليه وسلم (ذلك خير لكم واطهر) : أي تقديم الصدقة بين يدي المناجاة خير ما فيه من نفع الفقراء واطهر لذنوبكم . (فإن لم تجدوا) : أي فإن لم تجدوا مما تتصدقون به . (فإن الله غفور رحيم) : أي غفور لمناجاتكم رحيم بكم فليس عليكم في المناجاة بدون صدقة إثم . ايسر التفاسير للجزائري ٢٩٢/٥ شاملة .

الدروس المستفادة :

- هذا التكليف يشتمل على انواع من الفوائد اولها : اعظام الرسول صلى الله عليه وسلم واعظام مناجاته فإن الانسان اذا وجد الشيء مع المشقة استعظمه ، وان وجده بالسهوله استحقره .
- نفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة .
- بهذا التكليف ازدادت درجة الفقراء عند الله وانحطت درجة الاغنياء ، وذلك ان الاغنياء غلبوا الفقراء على مجلس النبي صلى الله عليه وسلم واكثروا من مناجاته حتى كره النبي صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ، فأمر الله بالصدقة عند المناجاة ، فأما الأغنياء فأمتنعوا ،

وأما الفقراء فلم يجدوا شيئا ، واشتاقوا الى مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم فتمنوا ان لو كان يملكون شيئا فينفقونه ويصلون الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم .

– انه يتميز به محب الاخرة عن محب الدنيا ، فإن المال محك الدواعي .

– ظاهر الآية يدل على أن تقديم الصدقة كان واجبا، لان الامر للوجوب ، ويتأكد ذلك بقوله في آخر الآية : فإن لم يجدوا فإن الله غفور رحيم فإن ذلك لا يقال الا فيما بفقده يزول وجوبه ، ومنهم من قال : ان ذلك ما كان واجبا ، بل كان مندوبا . تفسير الرازي ٤٩٥/٢٩ شاملة. كما إن هناك آيات تصب في المعاني آنفة الذكر، وهي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ الحجرات: ٥ قال زيد بن ارقم : جاء ناس من العرب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا الى هذا الرجل فإن يكن نبيا فنحن اسعد الناس به ، وان لم يكن ملكا تعش في جنابه فجاؤوا فجعلوه ينادونه ، يا محمد يا محمد ، فأنزل الله (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات واكثرهم لا يعقلون . ولو انهم صبروا حتى صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم) تفسير البغوي . احياء التراث ٢٥٦/٤ . وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ التوبة: ٦١ روي عن ابن عباس وجماعة معه انهم ارادوا بقولهم (هو اذن) أي يسمع كل ما ينقل اليه عنا ويصغي اليه ويقبله ، فهذا تشك منه ووصف بأنه يسوغ عنه الاباطيل والنمائم ، ومعنى اذن سماع ، ويسمى الرجل السماع لكل قول اذنا اذا كثر منه استعمال الاذن ، وروي عن الحسن البصري ومجاهد انهما تأولا هذه اللفظة نبتل بن الحارث وكان من مردة المنافقين . ومعنى (اذن خير) على الاضافة أي سماع خير وحق و (يؤمن بالله) معناه يصدق بالله ، (ويؤمن للمؤمنين) قيل معناه ويصدق المؤمنين واللام زائدة كما هي في قوله ﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾ النمل: ٧٢

المبحث الثاني في مجال العبادات

وردت آيات كثيرة في إثبات خيرية العبادات ، واعرض في هذا المطلب العبادات البدنية والمالية فيما يأتي : قال الله تعالى في آيات الصيام : ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ البقرة: ١٨٤

المعنى الإجمالي : تناولت الآية كثيرا من أحكام الصيام ، وقررت إن الصيام فرض على المؤمنين ، كما كان مفروضا في الديانات السابقة ، وان اختلف الصيام في كل امة في الكيفية او المدة. وقال علي (رضي الله عنه) : (ان الصوم عبادة قديمة ، اخلى الله امة من افتراضها عليهم) . وانما فرضه الله على كل امة ، لما له من فوائد جسمية وروحية . والحكمة في تشبيه فرضه علينا بفرضه على من كان قبلنا ، هي تخفيف مشقته على الصائمين ، فإنه اذا كان شريعة عامة في جميع الديانات ، كان ذلك ادى الى الصبر عليه ، وعدم التقصير فيه . ولأهميته جعل الركن الرابع من اركان الاسلام ، كما في الحديث الصحيح المجمع عليه : (بني الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج) . رواه ابن عمر عن الرسول صلى الله عليه وسلم . والصوم لغة : الامساك ، ومنه الصوم عن الكلام ، كقول مريم عليها السلام : (اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم إنسيا) . وشرعا : الامساك عن الطعام والشراب ومباشرة النساء ، من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، مع تبييت النية .

وللصيام اثار حسنة كثيرة : فهو يربي الوازع النفساني ، وينمي الإرادة ، ويبعث على الخير ويقمع الشر ، ويعلم الصبر ويحقق المساواة بين الفقير والغني في الجوع ، ويذكر الغني اخاف الفقير ، فيعطف عليه ، ويعينه ... الى غير ذلك من الفضائل وله فوائد صحية عديدة ، اجمع عليها الاطباء . الوسيط الشاملة ٢٨٢/١ – ٢٨٣ .وعلى المسلم ان يحتاط في تقدير مشقة السفر ، وبخاصة في هذا العصر الذي توافرت فيه سبل الراحة بالمواصلات السريعة وحسبه قوله تعالى (وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون) فينبغي له ان يصوم كلما امكن الصوم ، وان انطبقت عليه الرخصة . واذا افطر المترخص بالسفر او المرض ، فلا ينبغي ان يعيب عليه اذا صام ، مع وجود الرخصة له . الوسيط ٢٨٥/١ .

الدروس المستفادة :

– الخطاب في ذلك لمن ابيح هم الفطر ، على أي وجه مما سبق أي : ان تصوموا خير لكم من الفطر ان كنتم تعلمون مافي الصوم من فضيلة .

روى الشيخان عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : (ما من عبد يصوم يوما ، الا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا) . وانما يفضل الصوم الفطر ، اذا لم يتعرض به الصائم الى الخطر ، فإن كان يفضي صومه اليه فالفطر واجب بالاجماع . الوسيط ٢٨٦/١

– الصيام فقد بين الحق سبحانه وتعالى للمسلمين انه ليس بدعا في التشريع الاسلامي ، بل انه شريعة من شعائر الدين التي جاء بها الانبياء والرسل السابقون . التيسير في احاديث التفسير ١٠٧/١ .

– وجه الحكمة فيه ، وان الغرض منه ليس هو ارهاق المكلفين بالجوع والعطش وكبت الشهوة ، وانما المراد منه ثمرته الروحية ، التي تتجلى في سلوك المؤمن اثناء صيامه ، ثم بعد اقضاء شهر الصيام ، طيلة بقية شهور العام ، وهي ما يكتسبه الصائم بفضل الصوم من تقوى القلب وتهذيب النفس . التيسير ١٠٨/١

– ان الله تعالى ذكره عمم يقوله (فمن تطوع خيرا) ، فلم يخصص بعض معاني الخير دون بعض . فإن جمع الصوم مع الفدية من تطوع خيرا ، وزيادة مسكين على جزاء الفدية من تطوع الخير ، وجائز ان يكون تعالى ذكره عنى بقوله : (فمن تطوع خيرا) ، أي هذه امعاني تطوع به المفتدي من صومه ، فهو خير له؛ لان كل ذلك من تطوع الخير ، ونوافل الفضل ، وقوله : (وان تصوموا) ، أي ما كتب عليكم من شهرر رمضان (فهو خير لكم) من ان تفطروه وتفتدوا ، وعن السدي : (وان تصوموا خير لكم) أي من تكلف الصيام فصامه فهو خير له ، وعن ابن شهاب : ان الصيام خير لكم من الفدية . تفسير طبري شاكر ٤٤٢/٣-٤٤٣ ومن ايات الخيرية في العبادات البدنية اجابة النداء لصلاة الجمعة قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ ﴾ الجمعة: ٩

المعنى الإجمالي : المقصود من النداء لصلاة الجمعة الاذان الشرعي المعهود لما فيه من قول المؤذن: (حي على الصلاة) أي : اقبلوا وتعالوا لأدائها ، ولفظ الجمعة بضم الميم وتسكينها ، قال ابن عباس : نزل القرآن بالتثقيل – أي : بالضم والتخفيف أي : تسكينها فاقرءوا –بضم الميم– وفتح ميمها جائز لغة لكنه لم يرد قراءة . وكان يقول ليوم الجمعة يوم العروبة –بفتح العين– واختلف في اول من سماه يوم الجمعة ، فقيل هو كعب بن لؤي ، وهو اول من قال اما بعد – قاله ابو سلمة . وقيل اول من سماه جمعة الانصار ، قال ابن سيرين : جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل (الجمعة) وهم الذين سموه يوم الجمعة ، وذلك لانهم قالوا : ان لليهود يوما يجتمعون فيه في كل سبعة ايام وهو السبت ، وللنصارى يوم مثل ذلك وهو الاحد ، فتعالوا نجتمع حتى نجعل لنا يوما نذكر الله ونصلي فيه ونستذكر –او كما قالوا– فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى اسعد بن زرارة (ابو أمامة) فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم ، فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا فذبح لهم شاة فتغدوا وتعشوا منها لقلتهم هذه اول جمعة في الاسلام – ارجع الى الالوسي وغيره وروي انهم كانوا اثني عشر رجلا ، وعلى اية حال فإنه سمي يوم الجمعة لاجماع الناس فيه . الوسيط ١٤١٧/١٠ .

سبب النزول : عن ابي مالك قال كان قوم يجلسون في بقيع الزبير ، فيشترون ويبيعون اذا نودي للصلاة يوم الجمعة ، ولا يقومون ، فنزلت : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ ﴾ الجمعة: ٩ واما الذكر الذي امر الله تبارك وتعالى بالسعي اليه عبادة المؤمنين ، فإنه موعظة الامام في حطبته . تفسير طبري ٦٤٢/٢٢ .

الدروس المستفادة :

– من خيرية يوم الجمعة استجابة الدعاء ، فعن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان في الجمعة لساعة) يقللها قال : (لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها اا اتاه الله إياه) فقال عبد الله بن سلام : قد علمت أي ساعة هي ، هي اخر ساعات النهار من يوم الجمعة .

– ومن فوائد الجمعة فضيلة الانتشار بعد الصلاة اذ اباح لهم بعد انقضاء الصلاة الابتغاء من فضله ، والانتشار في الارض لما ارادوا من بيع وغيره . معاني القرآن واعرابه للزجاج ٣٦١/١ .

– سمي يوم الجمعة بذلك لاجتماع المخلوقات فيه ونكاملها ، وفيه خلق ادم ، وذلك روايات واحاديث مشهورة . ابن عطية ٥/٥ . وفي ذلك فضيلة عظيمة لهذا اليوم العظيم .

– يوم الجمعة من افضل الايام ، والاجابة فيه للصلاة دليل الايمان الحق ، لانه لم يكن على المنافقين اثقل من يوم الجمعة وحضور الخطبة . القرطبي ٣٢٢/١٢ ، ولانه ايضا اعظم مما كانوا يبتغون به منافعهم فهو اشغل لهم من غيره ، والمراد جميع الامور الشاغلة عن

الصلاة . البحر المحيط ١١٤/٢ . ومن العبادات المالية التي وردت فيها الخيرية ايات الصدقة ، قال الله تعالى ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾ البقرة: ٢٧١

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٠ وقال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٠

المعنى الإجمالي : هذه جملة ايات في الحث على الصدقة بيان خيريتها فقوله (ان تبدوا الصدقات) أي تظهروها ، منه البداء وهو ظهور الشيء في الرأي ، و(نعما): ضد (بئس) . (وان تخفوها) : أي تسروها فهو مما يستحب ، والمقصود بما يبدى من الصدقات هي الزكاه المفروضة ، وما تنفقون على سبيل التعاون ويستحب اخفاؤه هي صدقة التطوع ، والخيرية فيه أي مما يمكن ان يخالطه من العجب والرياء . درج الدرر ط الفكر ٣٦٤/١. وقوله (ولا يحسبن الذين يبخلون...) الاية فيها وجوه : ففي قول يعني بذلك اهل الكتاب انهم بخلوا بالكتاب ان يبينوه للناس ، وفي قول هم الكافر والمنافق يبخل ان ينفق في سبيل الله ، تفسير ابن ابي حاتم محققا ٨٢٦/٣ . ودعت الاية الثالثة الى ادب الدين للمعسر (وان كان ذو عسره) أي مدينا لكم ، و (العسره) ضيق المعيشة والحال ، العسر ضد اليسر (وان تصدقوا) تصدقكم بالابراء من الدين خير لكم من النظرة أي انتظار السداد . درج الدرر ٤٤٨/١ .

سبب النزول : قوله (ولا يحسبن الذين يبخلون....) الاية نزلت في اليهود ، بخلو باظهار نعت النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وقيل : ما نعي الزكاة وقيل : في الذين امتنعوا عن الانفاق من الجهاد . درج الدرر ٤٥٢/١ . وقوله (ان كان ذو عسرة) سبب نزولها : ان ثقيفا لما طلبوا اموالهم من بني المغيرة ، شكا بنو المغيرة العسرة ، وقالوا : ليس لدينا مال ندفعه لكم فأمهلونا الى وقت طيب الثمار ، فأبوا ان يمهلوهم ، فنزلت الاية بوجوب انظار المعسر . الوسيط ٤٨١/١ .

الدروس المستفادة :

- يعلم الحق سبحانه وتعالى للمؤمنين من عبادة ادب الصدقة وحسن الانفاق ، ويعرفهم بأن الحكمة في اسداء المعروف من القادر الى العاجز ، ومن الغني الى المحتاج ليست هيه مجرد ترضية حاجاته المادية وقضاء ضرورياته الحيوية، بقدر ما هي اكرام له ، واعزاز لجانبه وترفيه عنه ، واشعار له بالاخاء الصادق ومن جانب بقية اخوانه المسلمين ، والامتزاج التام . التيسير ١٧٥/١ .
- وفي قوله (ولا يحسبن ....) نعى على البخلاء بخلهم ، وفيها دعوة المسلمين الى البذل والانفاق في سبيل الله ، وترفيها عن المتهم ، وتدعيما لدولتهم وتعريفهم بأن ما يكسبونه من ثروة انما هو وديعة من الله بين ايديهم استخلفهم فيها ، فلا ينبغي لهم ان يبخلوا بالعطاء من مال الله في سبيل الله . التيسير ٢٨٨/١ .
- ان مدلول الاية (ولا يحسبن...) عام ، فهو يشمل اليهود الذين بخلوا بالوفاء بتعهداتهم ، كما يشمل غيرهم ممن يبخلون نما اتاهم اللهه من فضله ويحسبون ان هذا البخل خير لهم ، ويحفظ لهم اموالهم ، فلا تذهب بالانفاق , الظلال ٥٣٦/١.
- من انظار المعسر استنبط العلماء : وجوب انظار المعسر حتى يسير الله عليه ؛ لان الاية برفع (ذو عسرة) معناها : وان وقع وحدث ذو عسرة من الناس اجمعين. الوسيط ٤٨١/١ .
- يأمر تعالى بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء ، فقال (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) لا كما كان اهل الجاهلية يقول احدهم لمدينه اذا حل عليه الدين : اما ان تقضي اما ان تربي ثم يندب الى الوضع عنه ، وبعد على ذلك الخير والثواب الجزيل ، فقال : (وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) أي وان تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين وقد وردت ، الاحاديث من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك. ابن كثير العلمية ٥٥٤/١ .

المطلب الثاني : الجهاد في سبيل الله

قال الله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ البقرة: ٢١٦ وقوله تعالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ التوبة: ٤١

المعنى الإجمالي : بين الله في هذه الآية الكريمة : انه فرض على المسلمين الجهاد ، وانه مكروه لهم ، وتلك الكراهية امر جبلي ، لما فيه من القتل والاسر ، واتعاب البدن ، وتلف المال ، وقتل ما عسى ان يكون من الاقارب على الكفر – وهم يحبون ان يهديهم الى الاسلام . وهذا ينافي رضاهم بما كلفهم الله به حبا في مرضاة الله وطمعا في ثوابه ، كالمريض يرضى بشرب الدواء الكريه الطعم ، حبا في الشفاء . الوسيط ٣٤٣/١ . والجهاد اصلا : فرض كفاية يقوم به المجندون ومن شباب المسلمين ، نائبين عن بقية المسلمين . فإن دخل العدو بلاد الاسلام غازيا ، فقد العقد الاجماع على ان الجهاد فرض عين ، على جميع المسلمين سواء اكان القتال ام بالحض عليه ، ام بتجهيز المقاتلين ، ام تثبيتهم ام برعاية اسرهم ، ام علاجهم ام تأليب الرأي العالم على المعتدين ، ويكون ذلك حسب طاقة المجاهد .

المناسبة : بين الله قبل اية (كتب عليكم القتال ...) ان الجنة لا يدخلها المؤمن حتى يقاسي البأساء والضراء في سبيل دينه ، كمثل الذين من قبلهم ، وذكر لهم مصارف المال ، ومواضع النفقات . عن ابن عباس : لما كتب الجهاد على المسلمين شق عليهم ذلك لما فيه من المشقة ، فنزلت الاية قال ابن عرفة : الكره بضم الكاف المشقة ، والكره بالفتح ما اكرهت عليه ، تقديره : ذو كره لكم . درج الدرر ٣٧٩/١

الدروس المستفادة : عن ابن عباس : لما كتب الجهاد على المسلمين شق عليهم ذلك لما فيه من المشقة ، فنزلت الاية قال ابن عرفة : الكره بضم الكاف المشقة ، والكره بالفتح ما اكرهت عليه ، تقديره : ذو كره لكم . درج الدرر ٣٧٩/١ .

سبب النزول : عن ابن عباس : لما كتب الجهاد على المسلمين شق عليهم ذلك لما فيه من المشقة ، فنزلت الاية قال ابن عرفة : الكره بضم الكاف المشقة والكره بالفتح ما اكرهت عليه ، تقديره : ذو كره لكم . درج الدرر ٣٧٩/١ .

الدروس المستفادة :

– وصف الله تعالى بأنه خير لكم ، أي بإصابة الشهادة ، وحيازة الغنيمة ، والظفر بالعدو ، وقوله : (وعسى ان تحبوا شيئا) ويعني : القعود عن القتال (وهو شر لكم) أي بفوت المنافع والمنازل . تفسير السمعاني ٢١٦/١ .

– الكره في الانسان يستعمل على ضربين احدهما ما يعاف من حيث الطبع ، والثاني مايعاف من حيث الفعل وان مال اليه الطيع ولهذا يصح ان يوصف الشيء بأنه مراد مكروه ، والكره والكره قيل هما واحد في معنى نحو : الضعف والضعف ، وقيل بل الكره المشقة التي يحمل عليها الانسان بإكراه ، والكره ما يتحمله بلا اكراه من غيره . تفسير الراغب ٤٤٥/١ .

المطلب الثالث : التوبة

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ البقرة: ٥٤

المعنى الإجمالي : بين الله تعالى ما قاله موسى لقومه من بني اسرائيل بظلمهم انفسهم ، وما كان فعلهم بها لم يكن لهم ان يفعلوه ، مما اوجب لهم العقوبة من الله تعالى . وكذلك كل فاعل فعل ما يستوجب العقوبة من الله تعالى وكان الفعل الذي فعلوه فظلموا به انفسهم ، هو ما اخبر الله عنهم : من ارتدادهم بإتخاذهم العجل ربا بعد فراق موسى اياهم . ثم امرهم موسى بالمراجعة من ذنبهم ، والانابة الى الله من ردتهم ، بالتوبة اليه والتسليم لطاعته فيما امرهم به . واخبرهم ان توبتهم من الذنب الذي ركبوه قتلهم انفسهم ومعنى التوبة : الاوبة مما يكرهه الله الى ما برضاه . الطبري نح الشاكر ٧٢/٢ .

المناسبة : مناسبة هذه الايات لما قبلها : ان الله سبحانه لما ذكر في الايات السالفة انواعا من النعم التي اتاها بني اسرائيل ، كلها مصدر فخار لهم ، ولها تهتز اعطافهم خيلاء وكبرا لما فيها من الشهادة بعناية الله بهم وبين هنا كبرى سيئاتهم التي بها كفروا انعم ربهم ، وهي : اتخاذهم العجل إلها . تفسير حدائق الروح والريحان ٤٠٧/١ . فلما رجع موسى الى الميقات ورأى ما صنع قومه بعده من عبادة العجل ، غضب ورمى باللوحين من يده فكسرها في اسفل الجبل ثم احرق العجل الذي صنعوه : وقال لهم : هذا ما يقول الرب اله اسرائيل لينقلد كل رجل منكم سيفه فجوزوا في وسط المحلة من باب الى باب وارجعوا ، وليقتل الرجل منكم اخاف وصاحبه وقريبه ففعلوا ، وفي غد ذلك اليوم كلم موسى الشعب وقال لهم : انتم قد اخطأتم خطيئة عظيمة .واني الان اصعد الى الرب فأتضرع اليه من اجل خطيئتكم ، فصعد موسى وتضرع للرب وسأل المغفرة لقومه . تفسير القاسمي محاسن التأويل ٣٠٦/١ .

الدروس المستفادة :

– لم تقبل التوبة من بني اسرائيل إلا بأنهم قتل بعضهم بعضا ، ومع هذا فإن الله يمن عليهم ان تاب عليهم وقبل توبتهم ، والتواب هو : المفضال بقبول التوبة مرة بعد مرة ولو كثرت الذنوب واي ذنب اعظم من الشرك ؟ واي ظلم للنفس اكبر من هذا الظلم الذي وقع فيه بنو

اسرائيل ؟ واذ تركوا عبادة العليم الحكيم الى عبادة البقر ، وقوله (ذلكم خير لكم عند بارئكم) أي : ان التوبة والقتل خير على المعصية عند الله . الاساس سعيد حوى ١٤٧/١ .

- ان الذنب لا يمر بلا عقوبة مهما كان فاعلوه الا اذا شاء الله ان يعفو وفي ذلك تذكير لليهود بأن يخففوا من دعاواهم مع الله واما خلقه وان المؤمن لا يبالي في ذات الله ان يقتل اهله او قومه او تقتل نفسه . الاساس سعيد حوى ١٤٨/١ .

وقال تعالى : ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾ التوبة: ٣

المعنى الإجمالي : في هذه الآية اجل الله المشركين اربعة اشهر يسيحون في الارض ، فقرأها عليهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فأجل المشركين عشرين من ذي الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وشهر ربيع الاول ، وعشرا من ربيع الاخر ، وقرأها عليهم في منازلهم وقال : (لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان) ثم دعاهم الى التوبة اليه فقال : (فإن تبتم) أي : مما انتم فيه من شرك والظلال (فهو خير لكم) اما اذا استمررتم على ما انتم عليه (فأعلموا انكم غير معجزي الله) بل هو قادر ، وانتم في قبضته ، وتحت قهره ومشيئته . تفسير ابن كثير تح سلامة ١٠٢/٤-١٠٣ .

المناسبة : بدأت سورة التوبة بهذا الاعلان العام الذي كان تطبيقا للاحكام التي تضمنتها الايات الواردة في اخر الانفال ، من عزل المؤمنين عن الكافرين ، كما كانت سورة (الانفال) اول ما نزل من القرآن بالمدينة على حين كانت (التوبة) اخر سورة نزلت من سورة القرآن بالمدينة ايضا لهذا وغيره من المناسبات الجامعة بين السورتين ، كان جمعهما على هذا النسق ، فجاءت الانفال ، ثم جاءت بعدها التوبة ، حتى لكأنهما سورة واحدة ، الامر الذي اقتضى عدم تصدير سورة التوبة بالبسملة ، كما صدرت جميع صور القرآن هذا ما ذهب اليه كثير من العلماء في التعليل لعدم تصدير (التوبة) بالبسملة . وقد قضى هذا الاعلان في بداية التوبة ببراءة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من المشركين ، ومن العهود المعقودة معهم . التفسير القرآني للقرآن ٦٩٣/٤-٦٩٤ .

الدروس المستفادة :

- ذكر الكافرين هنا على خلاف مقتضى الظاهر : لان مقتضى الظاهر ان يقول : وابن الله مخزيكم ووجه تخريجه على الاظهار الدلالة على سببية الكفر في الخزي والخطاب للمشركين الذين اوذنوا بالبراءة والمغنى : فإن امنتم فالايمان خير لكم من العهد الذي كنتم عليه ، لان الايمان فيه النجاة في الدنيا والاخر العهد فيه نجاة الدنيا لا غير والمراد بالتولي : الاعراض عن الايمان . واريد بفعل توليتم معنى الاستمرار ، أي ان دمتم على الشرك فأعلموا انكم غير مفلتين من قدرة الله. التحرير والتنوير ١٠ /١١٠-١١١ .

- في اية البراءة ترهيب وترغيب يشيران الى طبيعة المنهج الاسلامي . انه منهج هداية قبل كل شيء فهو يتيح للمشركين هذه المهلة للتروي والتدبر ، واختيار الطريق الاقوم ، ويرغبهم في التوبة عن الشرك والرجوع الى الله ويرهبهم من التولي ، وينذرهم بالعذاب الاليم في الاخرة فوق الخزي في الدنيا ويوقع في قلوبهم الزلزلة التي ترجها رجا لعل الركام الذي ران على الفطره ان ينفض عنها فتسمع وتستجيب . الظلال سيد القطب ١٥٩٩/٣ .

وقال تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ التوبة: ٧٤

المعنى الإجمالي : روي انه صلى الله عليه وسلم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد : لئن كان ما يقول محمد لإخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته وقوله : (ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) هو ان خمسة منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذ تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بحطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها ، فبينما هما كذلك سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعه السلاح ، فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا ، وقال الله تعالى : (فإن يتوبوا يك لهم) وهو الذي حمل الجلاس على التوبة . تفسير البيضاوي ٨٩/٣ .

المناسبة : خاطب الله النبي صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار الصرحاء الذين يجهرون بالكفر ، وجهاد المنافقين الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر ، اولئك الكفار بالسيف والسلاح ، وهؤلاء المنافقين بالحجة والبرهان واقامة الحدود ثم انتقل القرآن يحكى ما ارتكبوه من جرائم

استوجبوا بها الامر بجهادهم والغلظة عليهم ، ودخول جهنم في الاخرة فقال : (يحلفون بالله ما قالوا ...) التفسير الوسيط ١٧٣٣/٣-١٧٣٤ .

سبب النزول :

– تبين الايات الحملة الطويلة الكاشفة بما كان للمنافقين في هذه الفترة من محاولات كثيرة لإيذاء الصف المسلم وفتنته وشغله بشتى الفتن والدسائس والاكاذيب عن وجهته كما انها في الوقت ذاته تكشف عن حالة الخلخلة وعدم التناسق في التكوين العضوي للمجتمع الاسلامي في هذه الفترة يشير اليها قول الله سبحانه : (وفيكم سماعون لهم) ، هذه الحالة التي نشأت عن دخول جماعات كثيرة في الاسلام بعد الفتح لم يكن الايمان قد استقر في قلوبهم ولا كانوا قد انطبعوا بالطابع الاسلامي الصحيح مما سنفضل القول فيه بعد استعراض ، والنصوص القرآنية تتحدث عن هذه الجماعات في اختصار مفيد وتقرر كيف تعامل في المجتمع المسلم . الظلال ١٥٦٧/٣-١٥٦٨ وفي ذلك درس عظيم لكيفية التعامل مع هذه الجماعات والتنبه الشديد لها حفاظا على المجتمع الاسلامي .

– روى التاريخ انهم قرروا فيما بينهم الفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة عند عوده من تبوك ، وهم بضعة عشر رجلا وقد اجتمع رأيهم على ان يدفعوه عن راحلته ليقع في الوادي فيموت ، فلما وصل الى العقبة نادى مناديه بأمره : ان رسول الله يريد ان يسلك العقبة فلا يسلكها احد غيره ، واسلكوا يا معشر الجيش بطن الوادي فإنه اسهل لكن واوسع ، فسلك الناس بطن الوادي وسلك النبي صلى الله عليه وسلم العقبة وكان ذلك في ليلة مظلمة ، فجاء المنافقون وتلثموا وسلكوا العقبة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد امر عمار بن ياسر رضي الله عنه ان يأخذ بزمام ناقته ويقودها ، وامر حذيفة رضي الله عنه ان يسوقها من خلفها فبينما النبي يسير في العقبة اذ غشية المنافقون فنفرت حتى سقط بعض متاعه فصرخ بهم ، فولوا مدبرين وعلموا انه اطلع على مكرهم فانحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادي ، واختلطوا بالناس . اعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين درويش ١٣٧/٤

– دلت الاية – وغيرها في محكم التنزيل– على حرص الدعوة الاسلامية على فتح ذلك الباب واتاحة تلك الفرصة منذ اولى خطواتها ثم استمر ذلك الى اخر عهودها . وفي الايات شروط هامة جدا للتوبة وقبولها ونفعها وهي التوبة الصادقة التي تتمثل في الندم على ما فات والعزم على الكف والاصلاح والانابة الى الله واتباع ما امر به واجتناب ما نهى عنه وفي متسع من الحياة والعمر والعافية . التفسير الحديث ١٥٤/٢ .

المبحث الثالث في مجال العلاقات الاجتماعية

المطلب الاول : تحقيق المقاصد

او : حفظ المال

قال تعالى : ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ ﴾ هود: ٨٦ وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الأعراف: ٨٥

المعنى الإجمالي : يبين الله تعالى وصية شعيب لقومه بإيفاء الكيل والميزان وحذرهم من مغبة ذلك بقوله : (لا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) والافساد في الارض هو اتخاذ الطرق المعوجة فيها ، بعد ان اقامها الله على السلامة والفطرة ، ومن الافساد العظيم في الارض ، الشرك بالله او الكفر به ، او الانحراف عن شرائعه وما يتبع ذلك من بخس الناس حقوقهم واوصاهم ان : ما ابقاهم الله لكم ، بعد ان توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان بالقسط فأحله لكم ، خير لكم من الذي يبقى لكم ببخسكم الناس من حقوقهم بالمكيال والميزان (ان كنتم مؤمنين) يقول : ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده وحلاله وحرامه . تفسير تح شاكر ٤٤٧/١٥ ، والتفسير القرآني للقرآن ٤١٦/٤ . وقال مجاهد في معنى (بقية الله) أي طاعة الله خير لكم . تفسير مجاهد ص٣٩٠ . وقوله : (فأوفوا الكيل والميزان) يقول : اتموا للناس حقوقهم بالكيل الذي تكيلون به ، وبالمزن الذي تزنون به . تفسير الطبري تح شاكر ٥٥٥/١٢ . وقال ابو السعود : (بقية الله) أي ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات (خير لكم) مما تجمعون بالبخس والتطفيف فإن ذلك هباء منثورا ، بل شر محض وان زعمتم فيه خيرا (ان كنتم مؤمنين) أي بشرط ان تؤمنوا فإن خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة ، وذلك مشروط بالايمان لا محالة او ان كنتم مصدقين في مقالتي لكم، وقيل البقية طاعات كقوله عز وجل (والباقيات الصالحات خير عند ربك) ،(وما انا عليكم بحفيظ) احفظكم من القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فأجازيكم ، وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت اذ انذرت ولم آل في ذلك جهدا ، او ما انا بحافظ ومستبق عليكم نعم الله

تعالى أن لم تتركوا ما انتم عليه من سوء الصنيع . تفسير ابي السعود ٢٣٢/٤. وقال الربيع : بقية الله : وصيته ، وقال الفراء : مراقبته ، وقال قتادة : حظكم من ربكم، وقال ابن عباس : رزق الله ، وقيل ثوابه في الاخرة فتح البيان في مقاصد القرآن ٢٣٠/٦.

الدروس المستفادة :

– مقتضى الايمان طاعة الله والرضا بما احل فبقية الله خير للبشرية ، وان الاستمرار على المعاصي يفسد الاديان والعقائد والدين والدنيا ويهلك الحرث والنسل فيكفيكم ما ابقى الله لكم من الخير وما هو لكم فلا تطمعوا في امر لكم عنه غنية ، وهو ضار لكم جدا . تفسير السعدي ص٣٨٧ .

– اضافة (بقية) الى اسم الجلالة على المعاني كلها جمعاً وتفريقا اضافة تشريف وتيمن ، وهيه اضافة على معنى اللام ؛ لان البقية من فضله او مما امر به وموقع الشرط في قوله (ان كنتم مؤمنين) هو كون البقية خيرا لهم ، أي لا تكون البقية خيرا الا للمؤمنين . التحرير والتنوير ١٤٠/١٢ .

– جمع الله العذاب على هذه المعصية على قوم شعيب في انقاص المكيال والميزان، فإن قيل الهلاك الذي اصابت قوم شعيب ذكر الله جل وعلا في (الاعراف) انه رجفة ، وذكر في (هود) انه صيحة ، وذكر في (الشعراء) انه عذاب يوم الظلة ؟ فالجواب : قد اجتمع عليهم ذلك كله اصابهم عذاب يوم الذلة وهي سحابة اظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم ، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض شديدة من اسفل منهم فزهقت الارواح وفاضت النفوس ، وحمدت الاجسام . اضواء البيان ٩٦/٦ .

ثانياً: حفظ العرض قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾﴾ النور : ١١

المعنى جمالي : يبين الله تعالى بأن الذين جاءوا بالكذب والبهتان (عصبة منكم) : جماعة منكم ايها الناس (لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم) أي : لا تظنوا ما جاءوا بيه من الافك شرا لكم عند الله وعند الناس ، خير لكم وعنده وعند المؤمنين ، وذلك ان الله يجعل ذلك كفارة للمرمى به ويظهر براءته مما رمي به ويجعل له منه مخرجا . وهؤلاء العصبة : جماعة منهم حسان بن ثابت ، مسطح بن أثاثة ، وحمنه بن جحش . وهم الذين افتروا على عائشة رضي الله عنها ، والذي تولى منهم بالافك والبهتان العظيم هو عبد الله بن ابي سلول ، وكان فيهم من لم يقله وانما سمعه فقط ، فعاتهم الله تعالى . تفسير الطبري تح شاكر ١١٦/١٩ .

سبب النزول : نزلت هذه الاية وما بعدها في شأن عائشة رضي الله عنها وما اذيع عليها اما كانت مع رسوال الله صلى الله عليه وسلم في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق سنة ست ، فأخذ الناس في الرحيل ، وانقطعت قلادة لها ، فطلبتها في المنزل ومضى الناس ، وقد كان صفوان بن معطل تخلف عن المنزل قبل ذلك ثم اقبل فوجد الناس قد ارتحلوا وهو على بعيره ، واذا هو بعائشة فجاء ببعيره وولاها ظهره حتى ركبت ، ثم قاد بها فجاء ، فجاء وقد نزل الناس فتكلم بذلك قوم واتهموها . تفسير يحيى بن سلام ٤٣٢/١ ، وتفسير الماوردي ٧٩/٤ .

الدروس المستفادة :

– اعلم انه سبحانه لما بين حكم الرامي للمحصنات والازواج كان في ذلك من الرحمة والنعمة ما لا خفاء فيه ؛ لان الله تعالى جعل باللغان للمرء سبيلا الى مراده ، ولها سبيلا الى دفع العذاب عن نفسها ، ولهما السبل الى التوبة والانابة، فأجل هذا بين تعالى في قصة الافك بقوله : (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) عظم نعمه فيما بينه من هذه الاحكام وفيما امهل وابقى ومكن من التوبة ولا شبهة في ان الكلام حذفا اذ لا بد من جواب الا ان تركه يدل على انه امر عظيم لا يكتنه ، ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به . تفسير الرازي ٣٣٧/٢٣ .

– وصف الله تعالى ذلك الكذب بكونه إفكا ؛ لان المعروف من حال عائشة رضي الله عنها ، خلاف ذلك لوجوه : احدهما : ان كونها زوجة للرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم يمنع من ذلك ؛ لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم ، فوجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ، والنبي صلى الله عليه وسلم كثيرا مما كان يضيق قلبه من اقوال الكفار مع علمه بفساد تلك الاقوال ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ الحجر: ٩٧ فكان هذا من هذا الباب وثانيها : ان المعروف من حال عائشة قبل تلك الواقعة انما هو الصون والبعد عن مقدمات الفجور ، ومن كان كذلك كان اللائق احسان الظن به . وثالثهما : ان القاذفين كانوا من المنافقين

واتباعهم ، وقد عرف ان كلام العدو المفترى وضرب من الهذيان فلمجموع هذه القرائن كان ذلك القول معلوم الفساد قبل نزول الوحي. تفسير الرازي ٣٣٧/٢٣ .

- ان ما وقع كان خيرا لاهل الايمان لاكتسابهم به الثواب العظيم ، وظهور كرامتهم على الله عز وجل بإنزال القرآن الذي يتلى الى يوم الدين في نزاهة ساحتهم وتعظيم شأنهم . وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيهم ، والثناء على من ظن خيرا بهم ، مع ما فيه من صدق الرجعى الى الله ، والافتقار الى اليه ، والاياس مما سواه . البحر المديد ١٧/٤ ، وتفسير المراغي ٨٣/١٨ .

- عبر القرآن بكلمة (عصبة) ليدل على انهم ليسوا فردا ولا افرادا انما هم (عصبة) متجمعة ذات هدف واحد ، ولم يكن عبد الله بن ابي بن سلول وحده هو الذي اطلق ذلك الإفك ، انما هو الذي تولى معظمه ، وهو يمثل عصبة اليهود او المنفقين الذين عجزوا عن حرب الاسلام جهرة ، فتواروا وراء ستار الاسلام ان ليكيدوا له خفية ، وكان حديث الإفك احدى مكائدهم القاتلة ، ثم خدع فيها المسلمون فخاض منهم في خاض حديث الإفك أما اصل التدبير فكان عند تلك العصبة ، وعلى رأسها ابن سلول الماكر ، الذي لم يظهر بشخصه في المعركة ، ولم يقل علانية ما يؤخذ به ، فيقاد الى الحد ، وكان التدبير من المهارد والخبث بحيث امكن ان ترجف به المدينة شهرا كاملا ، وان تتداوله الالسنة في اطهر بيئة واتقاها ومع ذلك كان خيرا لكشف الحقائق من جهة ، ووضع الوقاية اللازمة من جهة اخرى . الظلال ٢٥٠٠/٤ .

وقال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾ النور : ٢٧

المعنى الإجمالي : يبين الله تعالى حكم دخول البيوت ان لا تخل الا بإذن ، وقوله : (حتى تستأنسوا) أي تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فإن المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله او يؤذن له ، او من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش فإن المستأذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له ، فإن اذن له استأنس، (وتسلموا على اهلها) بأن تقولوا السلام عليكم أأدخل ، (ذلكم خير لكم) أي الاستئذان او التسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة ، او من تحية الجاهلية : وكان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال : حييتم صباحا او حييتم مساء ، ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف . وروي انه رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : (أأستأذن على امي ، وقال : انما ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت ، أتحب ان تراها عريانة ، قالا : لا، قال : فاستأذن) ، (لعلكم تذكرون) متعلق بمحذوف ، أي انزل عليكم ، او قيل لكم هذا إرادة ان تذكروا . تفسير البيضاوي ١٠٣/٤ .

سبب النزول : روي ان امرأة من الانصار جاءت الى رسول الله اني اكون في بيتي على الحال التي لا احب ان يراني احد والد ولا ولد ، فيأتيني الاتي فيدخل علي فكيف اصنع ؟ فقال : (ارجعي) فنزلت الاية ، فأرسل اليها فقرأها عليها ، فكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اذا دخل داره استأنس وتكلم كان يقول : عليكم ان تستأذنوا على امهاتكم . درج الدرر ١٢٨٣/٣ .

الدروس المستفادة :

- المراد من الاستئناس هنا : الاستئذان ، وقد فسره به الجمهور ، واصل الاستئناس : طلب الانس الذي هو ضد الوحشة ، ولما كان المستأذن يريد باستئذانه ان يأنس به اهل البيت ولا يستوحشوا منه فيأذنوا له ، عبر عن استئذانه بالاستئناس على سبيل المجاز . التفسير الوسيط ١٣٩٣/٦ .

- ومن ادب الصحابة وحرصهم على ادراك الخير تمثلهم بهذه الاية : (...فارجعوا هو ازكى لكم) أي : اذا ردوكم من الباب قبل الإذن او بعده ، وقال قتادة : قال بعض المهاجرين : لقد طلبت عمري كله هذه الاية فما ادركتها : ان استأذن على بعض اخواني ، فيقول لي : (ارجع) ، فأرجع وانا مغتبط لقوله : (هو ازكى لكم) تفسير ابن كثير . سلامة ٤١/٦ .

- في الاية امر بتذكير المؤمنين بتهذيب اخلاقهم ولا سيما في حفظ المحارم والحدود لئلا يتهموا بأنواع التهم ، فإن قيل لهم ارجعوا فالوقت لا يسع بالدخول فارجعوا على الفور بلا تفحص ولا تفتيش عن اسبابه على وجه الالحاح والاقتراح، كما يفعله الجهلة من الناس ، وهو أي الرجوع بلا تفحص ازكى واطهر للنفوس من الإلحاح ، والله المدبر لمصالحهم ويجازيكم بمقتضى علمه وخبرته . الفواتح الالهية ٨/٢ .

المطلب الثاني : دعوة اهل الكتاب

قال الله تعالى : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾ آل عمران: ١١٠

المعنى الإجمالي : يوضح الحق تعالى : كنتم ايها المؤمنين خير جماعة قضى الله اخراجها واظهارها لهداية الناس ، (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) استئناف بين الله تعالى به سبب كونهم خير امة اخرجت للناس ، أي تأمرونهم بما عرف حسنه شرعا وعقلا ، وتنهونهم عما ينكر الشرع والعقل ، والمراد من الايمان بالله : الايمان بكل ما يجب الايمان به من صفاته تعالى وملائكته ورسله واليوم الاخرة وإنما قدم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على الايمان بالله –مع تقدمه عليهما وجوداً ورتبة– لان دلالتهما على انهم خير امة اخرجت للناس ، اظهر من دلالته على هذه الخيرية لأن جميع الامم تشترك في الايمان وليقترن بقوله تعالى : (ولو آمن اهل الكتاب لكان خير لهم)، والاية تشير الى تقبيح اليهود وذمهم ، بتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما سجل الله تعالى عليهم ذلك بقوله (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) ، ولو آمنوا جميعا مثل ايمانكم بمحمد وبكل ما جاء به ، لكان ذلك خير لهم من البقاء على ما هم عليه ، حبا في الرياسة واستتباع العوام ؛ لأن ايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به يحقق لهم سعادة الدنيا والاخرة ، ولكنهم اختلفوا فكان (منهم المؤمنين) كعبد الله بن سلام، وأضرابه (واكثرهم الفاسقون) : أي المتمردون الكفر : الخارجون عن الحدود . التفسير الوسيط ٦٣٦/٢–٦٣٧ . قال الطبري : يعني بذلك تعالى ذكره : ولو صدق اهل التوراة والانجيل من اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عند الله ؛ لكان خير لهم عند الله في عاجل دنياهم واجل اخرتهم (منهم المؤمنون) يعني اهل الكتاب من اليهود والنصارى ، المؤمنون المصدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عند الله ... (واكثرهم الفاسقون) ، يعني : الخارجون عن دينهم ، وذلك ان من دين اليهود اتباع ما في التوراة والتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن دين النصارى اتباع ما في الانجيل ، والتصديق به ومما في التوراة ، وفي كلا الكتابين صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ومبعثه ، وانه نبي الله تعالى . تفسير الطبري تح شاكر ١٠٧/٧ .

سبب النزول : سبب نزولها ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين ، قالا لابن مسعود وسالم مولى وابي حذيفة ، وابي بن كعب ، ومعاذ بن جبل : ديننا خير مما تدعونا اليه ، ونحن افضل منكم فنزلت هذه الاية هذا قول عكرمة ومقاتل ، وفيمن اريد بهذه الاية اربعة اقوال : الاول : انهم اهل بدر والثاني : انهم المهاجرون والثالث : جميع الصحابة، والرابع : جميع امة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذه الاقوال كلها عن ابن عباس رضي الله عنهما . زاد المسير ٣١٤/١ .

الدروس المستفادة :

- ان قيل : لم قال : (كنتم) ولم يقل : انتم؟ قيل : في ذلك اجوبة : الاول كنتم فيما قضيت وقدرت وبنيت عليه الشرائع خير امة بشريطة ان تأمروا بالمعروف ، وتنهوا عن المنكر ، وتأمنوا بالله ، فقد تقدم ان هذه الشريعة اكمل الشرائع ، الثاني : ان الاشارة بذلك الى من امن بالنبي صلى الله عليه وسلم في ابتداء الاسلام والى هذا ذهب عمر رضي الله عنه ، وقال : هذا لأولنا ، ولو شاء لجعل الله لآخرنا ايضا ، فقال : انتم : فكنا كلنا اخيارا . تفسير الراغب ٧٩٠/٢ – ٧٩١ .
- وفي الاية تنويه : انه لو امن عامة اهل الكتاب وسائرهم ، ويعني الايمان التام النافع ، واسم كان ضمير يعود على المصدر المفهوم من امن كما يقول : من صدق كان خيرا له ، أي لكان هو أي الايمان وعلق كينونة الايمان خيرا لهم على تقدير حصوله توبيخا لهم مقرونا بنصحه تعالى لهم ان لو امنوا لنجو انفسهم من عذاب الله ، وخبر هنا افعل التفضيل ، والمعنى : لكان خيرا لهم مما هم عليه ؛ لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبا في الرئاسة واستتباع العوام ، فلهم في هذا حظ دنيوي من كونهم يصيرون رؤساء في الاسلام وحظ الأخروي الجزيل بما وعدوه على الايمان من ايتائهم اجرهم مرتين . البحر المحيط ٣٠٢/٣ .
- ان ما هو بخلاف الخيرية انما هو ضرب الذلة عليهم في كل حال إلا معتصمين بذمة الله وعهده ، وامان المسلمين وعهدهم ، وهو عقد الذمة ، وضرب الجزية والمعاهدة والمهادنة أي : لا عز لهم قط الا هذه الحالة الواحدة ، ثم (وباءوا بغضب من الله) : رجعوا به مستوجبين ، (وضرب عليهم المسكنة) : وهي الجزية او الفقر والتذلل ، (ذلك) أي : ضرب المسكنة والذلة والبوء بالغضب بسبب كفرهم . تفسير الايجي ٢٨٣/١ وبعرهم عن منهج الخيرية التي ارادها الله لهم

المطلب الثالث : الاخلاق

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ النساء : ٢٥

المعنى الإجمالي : (ومن لم يستطع منكم طولا) أي غنى واعتلاء ، واصله الفضل والزيادة (ان ينكح المحصنات المؤمنات) يعني الحرائر (فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات) يعني الإماء المؤمنات فظاهر الاية حجة للشافعي رضي الله عنه في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ، ومنع نكاح الامة الكتابة مطلقا ، وأول ابو حنيفة رحمه الله تعالى طول المحصنات بأن يملك فراشهن ، ومن اصحابنا من حمله ايضاً على التقييد ، وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم ، والمحذور في نكاح الامة رق الولد ، وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج (والله اعلم بإيمانكم) ، فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب ، والمراد تأنيسهم بنكاح الإماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ، ويؤيده قوله : (بعضكم من بعض) ، (فإنكحوهن بإذن اهلهن) يريد اربابهن ، واعتبار اذنهم مطلقا ، على ان لهن ان يباشرن العقد بأنفسهم حتى يحتج به الحنفية (وآتوهن أجورهن) أي ادوا اليهن مهرهن بإذن اهلهن! فحذف ذلك لتقدم ذكره ، (محصنات) أي عفائف غير (غير مسافحات) أي غير مجاهرات بالسفاح ، (ولا متخذات احداهن) أي أخلآء في السر (فإذا احصن) بالتزويج (فإن اتين بالفاحشة) أي زنى (فعليهن بنصف ما على المحصنات) يعني الحرائر ، (من العذاب) أي من الحد (ذلك) أي نكاح الإماء (لمن خشي العنت منكم) أي لمن خاف الوقوع في الزنى (وان تصبروا خير لكم) أي وصبركم عن نكاح الإماء متعففين خير لكم (والله غفور) لمن لم يصبر (رحيم) بأن رخص له . تفسير البيضاوي ٢/٦٩-٧٠ .

المناسبة : هذه الاية من تتمة ما قبلهما من جهة المعنى فقد ذكر في قوله (حرمت عليكم امهاتكم..) ثم بقية يحرم من النساء وحل سوى من تقدم ، ووجوب إعطاء المهور وذكر في الاية حكم نكاح الإماء ، وحكم حدهن عند ارتكاب الفاحشة ، ولكن من قسموا القرآن ثلاثين جزءا جعلوهما اول الجزء الخامس ، مراعاة للفظ دون المعنى . تفسير المراغي ٥/٤-٥ .

الدروس المستفادة :

- بين السدي في قوله : (وان تصبروا خيرا لكم) أي : وان تصبروا ولا تنكحوا الامة فيكون الاولاد مملوكين فهو خير لكم . توفيق الرحمن في دروس القرآن ١/٥٢٠ ففي ذلك تشجيع الاسلام على إنهاء الرق ، وتشريع ما يعمل على عدم استمراره.
- الاسلام هو النظام الوحيد الصحيح الذي يجعل الارتباط بين الجنسين على قاعدة الاسرة ، كما يجعل تخصيص امرأة لرجل هو الوضع الصحيح الذي تستمر معه هذه العلاقة ، والذي يجعل هذا النظام هو (الواجب) لا مجرد اللذة والهوى ، فهو يراعي الحكم في قيامها ، ثم في معالجة كل مشكلة تقع في اثناءها ، ثم عند فصم عقدتها وعند الضرورة القصوى . ٢/٦٢٠-٦٢١ .
- عظمة الاسلام في معاملة الإماء ، فهن سبابا كوافر في مجتمع المسلم ، فكيف يصنع بهن ؟ ان الفطرة لا تكفي بأن يأكلن ويشربن ، فهناك حاجة فطرية اخرى لا بد لهن من اشباعها وإلا التمسنها في الفاحشة التي تفسد المجتمع كله وتدنسه! ولا يجوز للمسلمين ان ينكحوهن وهن مشركات لتحريم الارتباط الزوجي بين مسلم ومشركة فلا يبقى الا طريق واحد هو إحلال ووطئهن بلا نكاح ما دمن مشركات – بعد استبراء ارحام المتزوجات منهن ، وانقطاع صلتهن بأزواجهن في دار الكفر والحرب . الظلال ٢/٦٢٢ –٦٢٣ .

وقال تعالى : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ محمد: ٢١

المعنى الاجمالي : من المفسرين من قال هذا كلام مستأنف ، أي : امرهم الطاعة ، او (طاعة وقول معروف) خير لهم ، (فإذا عزم الامر) أي : إذا جد الامر بالقتال واخذ امر التنفيذ خالفوا وتخلفوا ، او ناقضوا او كرهوا ، (فلو صدقوا الله) في الحرص على الجهاد ، ورجاء مشروعيته لكان الصدق خير لهم مما صاروا إليه وظهر عليهم ، وقيل: لو صدقوا الله في الايمان ، وتأكد في يقينهم ، ويجوز ان يكون جواب (إذا) جملة (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) على طريقة قولك : اذا حضرني الطعام فلو جئتني لأطعمتك. التفسير الوسيط ٩/٤١٦ . وهناك قول آخر ان قوله : (طاعة) متصلة بالآية الأولى في المعنى ، والتقدير : (فأولى لهم طاعة وقول معروف) ، وهذا ما روي عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : يريد كانت الطاعة أولى لهم والمعنى على هذا : طاعة الله ورسوله وقول معروف بالإجابة أولى لهم ، وهذا القول اختيار الكسائي . التفسير البسيط ٢٠/٢٥١ . والذي يظهر ان الاول أولى اذ يصح ان تكون (طاعة) مبتدأ محذوف الخبر، أي طاعة لك يا محمد ، وقول جميل طيب خير لهم وافضل واحسن . الموسوعة القرآنية ٤/٤١٤ . وصفوة التفاسير ٣/١٩٦ .

الدروس المستفادة :

- في الآية اشارة الى ان من أمارات الايمان : تمني الجهاد والميت شوقاً الى لقاء الله ، ومن أمارات الكفر والنفاق : كراهة الجهاد الميت . تفسير حدائق الروح والريحان ٢٧/ ١٨٢-١٨٣ ففي سياق هذه الآيات في هذه السورة تشجيع المؤمنين على الجهاد في سبيل الله ، وعلى

ضرب رقاب الكافرين ، واخذهم اسرى ، وكسر شوكتهم ، وإذلال نفوسهم ، كل ذلك بأسلوب قد اشتمل على اسمى الوان التحضيض على القتال . التفسير الوسيط لطنطاوي ٢١٤/١٣.

– وفي الاية توجيه وتربية بأن الطاعة وقول المعروف احسن وأمثل ، فذلك هو الامر المرضي لله تعالى ، وأخلصوا له النية ، لكان إظهار الايمان والطاعة خيرا لهم من المعصية والمخالفة ، ثم وبخهم الله تعالى على تقصيرهم فلعلكم إن توليتم عن الطاعة والجهاد ، واعرضتم عن الاسلام او عن القتال وتنفيذ احكامه، ان تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية ، فتسفكوا الدماء ، وتفسدوا في الارض بالبغي والظلم ، والنهب والسلب وسائر المعاصي ، وتقطعوا ارحامكم بالقتل والعقوق ووأد البنات وارتكاب سائر مفاسد الجاهلية ثم صب الله عليهم اللعنة ، بأن اللذين ابعدهم الله من رحمته ، وطردهم عنها ، فأصمهم في الدنيا عن استماع الحق ، وأعمى ابصارهم عن رؤية الحق . التفسير الوسيط للزحيلي ٢٤٤٢/٣ ، والتفسير الواضح ٤٧١/٣ .

– يكشف القرآن هذه الجولة مع المنافقين ، وموقفهم إزاء شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وإزاء القرآن الكريم ، ثم موقفهم من الجهاد الذي فرضه الله على المسلمين لإعلاء كلمة الله ، وأخيرا موقفهم من اليهود وتآمرهم معهم سرا للإيقاع بالإسلام والمسلمين ، وحركة النفاق حركة مدينة لم يكن لها وجود في مكة ؛ فلما اعز الله الاسلام والمسلمين بالأوس والخزرج في المدينة ، وانتشاره في المدينة، وانتشاره في العشائر والبيوت بحيث لم يبقى بيت إلا دخله الاسلام ، اضطر ناس ممن كرهوا لمحمد صلى الله عليه وسلم وللإسلام ان يعز ويستعلي ، ولم يملكوا في الوكت ذاته ان يجهروا بالعداوة ، اضطروا الى التظاهر بالإسلام على كره ، وهم يضمرون الحقد والبغضاء ، ويتربصون بالرسول واصحابه الدوائر . وعلى رأسهم عبد الله بن ابي بن سلول رأس النفاق المعروف . الظلال ٣٢٩٣/٦.

الهوامش

---

[١] التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، مجموعة من العلماء بأشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ط١ ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) – (١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م ١٨٣٨/٧).

[٢] ينظر: تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، ٢٤٣/٦.

[٣] فتح البيان في مقاصد القرآن ، ابو الطيب محمد صديق خان بن حسن الحسيني البخاري القنوجي (ت١٣٠٧هـ)

[٤] ينظر تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ، ابو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ) تحقيق : احمد محمد شاك ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط١،١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠م ٤١٢/٩ .